**ليلة القدر: حالة الوعي والاستنارة**

نشهد اليوم ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك، أحد الأيام المرجحة ضمن الثلث الخير من ألف شهر، حيث يتحرر الصائم من ذنوبه و يتخفف من طاقاته السلبية، بعد أن يجتاز ثلثي الرحمة و المغفرة. يأتي ثلث الحرية الكاملة، يستقبل حالة العتق من النار. يشكل شهر رمضان كله موسم الانعتاق. عندما يكمل المسلم صيام الشهر كاملا يستعيد حالة الفطرة التي خلقه الله عليها، و أسكنه الجنة قبل أن يأكل من الشجرة ويهبط إلى الأرض؛ فالدلالة النفسية والروحية لموسم الصيام تظهر في مثلث الانعتاق، واستعادة الفطرة بما تحقق للإنسان تزكية روحية ونفسية. ويتزامن ثلث الانعتاق مع موسم ليلة القدر التي يحرص الصائمون على شهودها، ويترقبونها في الثلث الأخير. ومقياس شهودها ليس متماثلا في توقيت واحد لدى جميع الصائمين، فمن الصائمين من يشهد ليلة القدر في الواحد والعشرين، ومنهم من قد يعيشها في الثالث والعشرين من الشهر، وهناك من يرزقها في الخامس والعشرين، وبعض الصائمين يرون علاماتها ويعيشونها في ليلة السابع والعشرين، وهناك من يدركها في التاسع والعشرين، فهي حالة وعي روحي نفسي يصل إليها المسلم الصائم بعد اجتيازه الثلثين الأولين من الشهر( الرحمة والمغفرة) ينال الصائم هديته متمثلة في حالة من الوعي والاستنارة الروحية والنفسية فيتحد بالنور ويقترب من الله أكثر ويصبح في حالة اهتزازية فريدة، تجعل دعاءه مستجابا، وطاعاته متقبلة ويعيش حالة شعورية من الانشراح الذي لا يستطيع وصفها بالكلمات. تروي امرأة عابدة منذ سنوات بأنها شهدت في إحدى الليالي الفردية من العشر الأواخر ليلة القدر متمثلة في جو صاف نقي، وهواء ناعم لطيف وحالة من السكينة التي لم تذقها من قبل. كان الكون كله نورا، أينما كانت تنظر كان النور يبتسم لها، فترى الملائكة صعودا وهبوطا بين السماء والأرض، ورأت من يرشدها بأن تدعو الله سبحانه وتعالى؛ فدعت بثلاث دعوات تحققت كلها. كما تقول تلك المرأة وكشف لها أحداثا سارة تحققت في الأيام التي جاءت بعد شهر رمضان. وعاشت تلك المرأة حالة الكشف تلك مغتبطة بها ومستنيرة بها حتى الآن بالرغم من مرور سنوات عديدة. لقد انعتقت تلك الصائمة من الران الذي كان يحجب ادراكها الجوهري، واستعادت وعي الفطرة من جديد. مما سبق نستطيع القول بأن الذنوب تحجب الإنسان عن الرؤية الصحيحة، وتجعل إدراكه ينحدر إلى حالة الغفلة العقلية والروحية التي تعرف ب( كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وهي حالة من الغفلة والعمى العقلي يقع فيها الإنسان المعرض عن ربه، فيصاب بلوثة عقلية وقلبية من الران الذي يصيب جميع مجالات الحياة بالغفلة والعتمة وعدم التوفيق. من هنا ندرك أن حالة تلك المرأة وحالات أخرى من الناس ممن شهدوا ليلة القدر في أيام أخرى من العشر الأواخر، هي عبارة عن حالة وعي، حالة استنارة، ونشوة روحية، وبوسع كل مسلم صائم أن يتحرى ليلة القدر بطريقته الخاصة من خلال العبادة والتنفل والتأمل والذكر، وأن يبدأ ممارسة شعائر الانعتاق بتنقية النفس من الأفكار السلبية. تستطيع أن تبدأ الآن بنية التخلص من جميع الآثام والذنوب بالتوبة والاستغفار، ثم تعيد بناء منظومتك الأخلاقية، تطلب السماح ممن أساءت إليهم و تعيد مظالم الناس، وتلتزم بالصدق والأمانة والاستقامة والإخلاص في عملك؛ فترتقي بضميرك إلى مستوى الحرية الروحية والنفسية.

د. أحمد بن علي المعشني

رئيس أكاديمية النجاح للتنمية البشرية